

أولاً الأحوال السياسية والإدارية

أدرك العثمانيون منذ دخولهم مصر أهميتها بصفة عامة وأهمية الثغور بصفة خاصة، لذا حرص العثمانيون على إخضاع ثغر (الإسكندرية، دمياط، رشيد والسويس) لسلطتهم المباشرة^(١)، فجعل أمر تعيين قبودناتها بأمر مباشر من الباب العالي، ويحمل هؤلاء القبودنات رتبة الباشوية بالإضافة إلى حملهم رتبة الصنجدية^(٢) وبذلك كان لهم الحق في الإمتيازات المقررة للبكوات من مرتب نقدي (ساليانة) ومرتب عيني (جراية وعليق) تصرف لهم من خزينة مصر، ولكنهم لم يكونوا أعضاء في الديوان العالي كالبكوات، ولا دخل لهم في إدارة مصر^(٣)، وتقتصر مهمتهم كما يذكر حسين أفندي، على حفظ القلاع وربط البنادر^(٤)، والحكم بين الرعايا بالعدل والشفقة^(٥)، واتخذ هؤلاء القابودانات معاونين لهم كالتخدا والأغوات وغيرهم للقيام بالأعمال الإدارية والعسكرية .

ولحماية مصر وثغورها من أية هجمات بحرية أبقت الدولة العثمانية عدد من الأوجاقات العسكرية لحفظ الأمن والتصدي لأية محاولة لغزو مصر وثغورها، وتجدر الإشارة إلى أن هذه الحامية العسكرية كانت تأتي مع القابودان

(١) وقد أشارت معظم المصادر والوثائق الى أن ثغر رشيد ودمياط كانوا في كثير من الأحيان يخضعون لقبودان واحد ، في حين أن د. عمر عبد العزيز عمر يشير الى أن ثغر رشيد والعريش والقصور كانت في مرتبة ثانية من حيث أهميتها بالنسبة للإسكندرية ودمياط والسويس، كما أن حكماها لم تخضع لإشراف الباب العالي. للإمتزادة انظر: عمر عبد العزيز عمر، مجتمع الإسكندرية في العصر العثماني، محاضرة أقيمت ضمن مجموعة محاضرات أقيمت في ندوة علمية بكلية الآداب، جامعة الأسكندرية، ١٩٧٣م، ص ٣١٩. ونحن لا نتفق مع رأى د. عمر، فكيف أن رشيد ودمياط تخضع لقبودان واحد، في حين أن رشيد لا تخضع لإشراف الباب العالي؟

(٢) الصنجد، الصنجد: ج صنجد، وهى لفظ تركى كان يطلق فى الأصل على الرمح، ثم أطلق على الراية أو العلم، ثم أطلق على القسم الإدارى، ثم أصبحت الصنجدية رتبة عسكرية عليا، يتقلدها كبار الأمراء المماليك، وتجدر الإشارة الى أنه كان يعين دائما لحكم الولايات المصرية الخمس الكبرى (الغربية، البحيرة، الشرقية، المنوفية، وجرجا) أمراء من المماليك برتبة صنجد، أما الولايات الأخرى فمان يعين لحكمها أمراء مماليك برتبة كاشف. أحمد شلبى بن عبد الغنى، ت ١١٥٠هـ / ١٧٣٧م، أوضح الإشارات فيمن تولى مصر من الوزراء والباشات، الملقب بالتاريخ العيني، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، ١٩٧٨م، ص ١١٧؛ وأيضاً محمد بن السرور البكرى، النزهة الزهية فى ذكر ولاية مصر والقاهرة المعزية، تحقيق عبد الرازق عبد الرازق عيسى، ط ١، القاهرة ١٩٩٨م، ص ١٧٠.

(٣) ليلى عبد اللطيف إبراهيم، الإدارة في مصر في العصر العثماني، مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة ١٩٧٨م، ص ٣٨٥.

(٤) البندر: كلمة فارسية تعنى مرتبط السفن على الشاطئ أنظر: طوبيا العنيسي، تفسير الألفاظ الداخلية فى اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه، دار العرب، القاهرة ١٩٦٥م، ص ١٣. ميناء التجارة ومنها بندرك، بمعنى الميناء الصغير، وبندركاة أى ميناء التجارة. أنظر: محمد على الآتمى، قاموس اللغة العثمانية المسمى بالدرارى اللامعات فى منخبات اللغات، بيروت ١٣١٨هـ، ص ١١١.

(٥) حسين أفندي الروزنامجي، ترتيب الديار المصرية في عهد الدولة العثمانية، ترجمة: محمد شفيق غربال، مجلة كلية الآداب بالجامعات المصرية، مايو ١٩٣٦م، مج ٤، ج ١، ص ١٥.

الاحوال الإدارية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية بمدينة [رشيد]

عند قدومه من اسلامبول وتأتّم بأمره، وتقيم الحامية فى قلاع الثغور^(١)، ولقد حدد قانون نامة مصر ١٥٢٥م. عدد هذه الأوجاقات ومهامهم، وكان عدد الحامية العثمانية التى تركها الأتراك بعد دخولهم مصر ست فرق عسكرية (أوجاقات) هى كوكليان، تفنكجيان، الجراكسة، الإنكشارية، العزبان والجاوشية، ثم أضاف السلطان سليمان بعد مضى ما يقرب من ثلاثين عاماً من إصدار قانون نامة فرقة سابعة وهى فرقة المتفرقة^(٢).

ومن أهم الأوجاقات التى وجدت برشيد فى تلك الفترة (أوجاق الإنكشارية أو جماعة مستحفظان، أو أوجاق الينكجى)، فضلاً عن أوجاق عزبان، والمتفرقة وجاويشان، ويخضع قاداتهم لأمرة قادة القلاع الدزادة^(٣).

وكان لهذه الأوجاقات دور كبير فى رشيد فى النواحي الإقتصادية والإجتماعية للمدينة على الرغم من أن قانون نامه كان يحرم عليهم العمل فى النواحي الإقتصادية والتجارية وعدم الإختلاط بالأهالى، غير أنه يلاحظ خلال القرن السابع عشر الميلادي، إمتلاك أفراد كثيرة منهم بمدينة رشيد، أبنية وأراضى، وانخرطوا مع أهلها وعملوا بوظائف مختلفة مع الإحتفاظ برتبهم كما سوف نرى.

وطالما كانت رشيد وغيرها من الثغور ملجأً للهاربين من السلطة، وذلك لسهولة هروبهم خارج البلاد على ظهر إحدى السفن المتجه إلى تركيا أو غيرها من البلاد^(٤)، فقد أوردت الوثائق العديد من أوامر الضبط والإحضار لعدد من الهاربين من السلطة والوعيد لمن يخالف أو يتهاون فى القبض عليهم، وكانت أوامر الضبط موجهة إلى كل الجهات المسؤولة عن الوجه البحرى والقبلى من أمرا الأولوية الشريفة^(٥) والكشاف والحكام ومشايخ العربان بالوجهين البحرى والقبلى، والملتزمين، ومن ذلك مرسوم ١٠٠٨هـ^(٦) حيث قام جماعة من الفلاحين القاطنين بالغربية، بالهروب إلى رشيد، دمياط، المنصورة، أبيار والإسكندرية وغيرها من الولايات البحرية، مما أدى إلى تعطيل العمل بالأراضى، وعدم دفع المال الميرى المقرر عليهم، وكان الأمر بالقبض على أى من الهاربين حيث كانوا وحسبهم لمدة عشر سنين من غير عذر ولا حجة ولا تهاون ولا إهمال ولا حماية ونؤكد فى ذلك غاية التأكيد، طبقاً لما ورد بالأمر.

ولقد تكرر المرسوم فى ١٠٢٧هـ بخصوص الفلاحين أيضاً، وبنفس الجهة ونفس الموضوع^(٧).

(١) عبد الحميد حامد سليمان، تاريخ الموانئ المصرية فى العصر العثمانى، سلسلة تاريخ المصريين، ٨٩ع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٥م، ص ٦٧. ويذكر الرحالة سيزار لامبرت (زار المدينة ١٦٢٧) أن عدد الجنود بقلعتي رشيد ١٥٠ جندياً لحماية المدينة. أنظر: قلاع مصرية قديمة، مجلة الجيش، المطبعة الأميرية ببلاط، المجلد السادس، العدد الرابع ١٩٤٤م، ص ٥٧٥.

(2) M. R., Clément, *L'égypte Ottomane (1517-1798)*, vol. 1, Paris, 1948, p. 9.

(٣) عبد الحميد سليمان، الموانئ المصرية، ص ٦٧.

(٤) جلييلة جمال القاضى، محمد حسام الدين إسماعيل، محمد طاهر، رشيد النشأة والازدهار والانحسار، دار الأفاق العربية، ط ١، ١٩٩٩م، ص ٥٩.

(٥) هما قابودانات الثغر، وأطلق عليهم أيضاً، (أمير اللوا الشريف السلطاني)، (أمير اللوا الشريف السلطاني وقابودان العمارة) و (أمير السنجق الشريف السلطاني) ويأتى على رأس الجهاز الإدارى فى الثغر. أنظر: عبد الحميد سليمان، الموانئ المصرية، ص ٦٥.

(٦) س ٢٥، ص ١٥٣، م ٤٤٦، أوائل جمادى الثانى ١٠٠٨هـ

(٧) س ٣٩، ص ٤٤٤، م ١٣٥٢ / ٢ ذى القعدة ١٠٢٧هـ.

الأحوال الإدارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية بمدينة [رشيد]

ونظراً لأهمية ثغر رشيد وما يمثله بالنسبة للدولة العثمانية من الناحية الاقتصادية كما سوف نرى أنه كانت من عادة كل باشا يأتى إلى مصر يقوم بزيارة رشيد حيث يصطحبه ككتخدا^(١) الجاويش وباش جاويش والملازمين (الملاحية) ليتفقد المدينة وحصونها وزيارة أولياء الله الصالحين، ولا غرو في ذلك إذ أن السلطان سليم قد قام بزيارة رشيد عند دخوله مصر. ومن أهم الباشاوات اللذين زاروا رشيد في تلك الفترة: (حسن باشا السلحدار ١٢ ربيع الثاني ١٠٩٩ - ٥ ذى الحجة ١١٠٠هـ / ١٥ فبراير ١٦٨٨، ٢٠ سبتمبر ١٦٨٩م)^(٢)، (أحمد باشا ٦ محرم ١١٠١ - ١٢ جمادي الثاني ١١٠٢هـ / ٢٠ أكتوبر ١٦٨٩ - ١٣ مارس ١٦٩١)^(٣)، وغيرهم الكثير.

وفى مدة إقامة الوالى برشيد جرت العادة على أن يخصص له ميزانية من ديوان الثغر، تصرف على خدمته ومصالحه وما يخص المطبخ وغير ذلك، من ثمن سكر وأغنام ودجاج وعسل وسمن وحصر وخضروات وأخشاب وما يصرف للكلارجى والعيش والطباخين^(٤).

ثانياً الأحوال الاقتصادية: تشمل الزراعة والصناعة والتجارة:

أ. الزراعة

اتبع العثمانيون في إدارة الرأى الزراعي برشيد نظام الالتزام حيث يتعهد شخص ما بدفع الضريبة المقررة على مقاطعة ما ويحصل بعد ذلك على تسطيط التزام بعد أن يرسو عليه المزاد من خلال أعلى سعر يقدمه ويصبح مسئول عن جباية المال الميرى المقرر على حصة التزامه وفي مقابل القيام بهذا العمل يحصل الفائض على مساحة من الأرض مخفاة من الضريبة تسمى الأوسية التي تختلف مساحتها من قرية لأخرى^(٥).

وإذا ما نظرنا إلى الحصيل الزراعي لمدينة رشيد من خلال ما عرض بالوثائق وما ورد بالمصادر والمراجع سنجد أن رشيد تتميز بثراء تربتها ووفرة العوامل المهيأة لنمو المحاصيل بها، ومن أهم هذه المحاصيل زراعة الأرز، ويعد الأرز المحصول الرئيسى الذى اشتهرت به رشيد وبلغ إنتاج الفدان سبعة أو ثمانية أرناب^(٦)، ولقد عنى أهالى رشيد بهذه الزراعة وبرعوا فيها وهو ما أشار إليه سونيني *Somini* وهو أحد الرحالة للفرنسيين الذى زار رشيد، ويؤكد بأن رشيد تنتج كمية هائلة من الأرز بل أنها أكثر إنتاجاً من دمياط أو غيرها من مدن الوجه البحري، على

(١) الكتخدا: جمع كتخدوات فارسية أطلقها الفرس على السيد الموقر والملك، وأطلقها الترك على الموظف المسئول والوكيل المعتمد ووكيل الأوقاف. أحمد السيد السعيد، تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتي من الدخول، ص ١٧٦.

(٢) الدمرداشي، أحمد كتخدا العزبان، الدرر المصانة فى أخبار الكنانة، تعقيق عبد الرحيم عب الرحمن عبد الرحيم، المعهد الفرنسي للكتار الشرقية، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٦.

(٣) الدمرداشي، الدرر المصانة، ص ٩.

(٤) ص ٢١، ١٠٥م، ٣٢٧ / ٥ شوال ١٠٠٣ هـ.

(٥) للإستزادة انظر: عبد الرحيم عب الرحمن عبد الرحيم، الريف المصري فى القرن الثامن عشر، ط ٢، مكتبة مديولي، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٩٢-٩٣. جمال كمال محمود محمد، نظام الالتزام فى ريف الصعيد فى العصر العثماني، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة ٢٠٠١م، ص ٦.

(٦) جليلة جمال القاضي وآخرون، رشيد، ص ٦٠.

الاحوال الإدارية والمباسبية والإقتصادية والإجتماعية بمدينة [رشيد]

الرغم من أن الجو والتربة واحدة^(١)، غير أن رشيد حققت غاية فائقة في زراعته وحصده، الأمر الذي انعكس بدوره على زيادة عيدان دق الأرز وتبيضه بمدينة رشيد عن غيرها من مدن الوجه البحري، كما يُذكر أن مدينة رشيد أحياناً ما تستعين بعمال من بلبس والمنصورة لاقتلاع نبات الأرز لخبرتهم في هذا المجال^(٢).

كما يكثر برشيد زراعة الأشجار وهو ما يؤكد المؤرخون منذ عصر مبكر فيشير بن حوقل "رشيد بها نخيل كثير"^(٣) وأكد ذلك الإدريسي أيضاً، - وكان يستخدم ليف الأشجار في صناعة حبال السحيل الذي كان يرسل كمية كبيرة منه إلى القاهرة^(٤) - فضلاً عن ثمار البلح والليمون الحامض والخلو والرمان والزيتون والتوت والجميز والتين الشوكي والبطيخ والقصب والعنب والقمح والشعير والبرسيم^(٥)، والفارنج، للتوت، التمر هندي، الجميز، العنب، العنب، الزيتون والخيار شنب^(٦).

ب . الصناعة

نتج عن ازدهار رشيد في زراعة الأرز، صناعة ضربه وتبيضه^(٧)، وهي من الصناعات الدائمة بالمدينة وكان لها تأثير على اقتصادها، ويذكر عنها الرحالة ليون الأفريقي^(٨) "رشيد تحيط بها عدة مصانع يخبط فيها الأرز بأدوات خاصة من الخشب، ويظن أنه يقشر فيها ويُنقى في كل شهر أكثر من ثلاثة آلاف كيل من الأرز" ويقصد ليون هنا عيدان دق الأرز التي انتشرت برشيد بكثرة. وكذلك صناعة المنسوجات ويوجد برشيد أنواع مختلفة من الأكمشة الكتانية والصوفية والحريز فضلاً عن صناعة الصباغة.

وتشتهر رشيد بقلطة أو جلفطة المراكب وتضمنت الوثائق مسميات عديدة وأنواع من المراكب، التي كانت تستخدم في حمل البضائع ونقلها داخل القطر أو خارجه كمركب تقيره^(٩)، أبي قير، والشحور النيل،

(1) C, S., Sonnini, *travels in upper and lower Egypt*, Landon, 1800, p. 145.

(2) جليلة جمال القاضي وآخرون، رشيد، ص ٦٠.

(3) أبي القاسم ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض، ط ٢، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢م، ص ١٣٢.

(4) ص ٢٢، ص ٤٦٠، م ١٥٠٢ / ١٥٠٣، القعدة ١٠٠٣ هـ.

(5) عباس الميسي، رشيد المدينة الباسلة، دار الدهوة، الإسكندرية، ١٩٧٩م، ص ١٣٥، ص ٣٩، ص ٢٤٢، م ٨٢٠ / ١٥ جمادى الآخر ١٠٢٧ هـ، ص ٢٥، ص ١٠٤، م ٢١/٢٩٨ ربيع الأول ١٠٠٩ هـ، الصالحة النجمية، ص ٨، ص ٧٣، م ٢٨٢ / ١٨ شعبان ٩٩٦ هـ.

(5) M.H., Von Bretten, *Voyage en Egypte*, 1585-1586, LeCaire, 1976, p. 116.

(٦) ص ٩١، ص ٢٠٠، م ٣٦٠ / جمادى الثاني ١٠٩٠ هـ.

(7) Sonnini, *Travels in Upper and Lower*, p. 145-147.

(٨) الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المعروف بليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، ج ٢، ط ٢، دار العرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٣م، ص ١٩٨.

(٩) النفيرة: ج نقائر وهي نوع من المراكب الصغيرة التي تستعمل في نقل المسافرين والمتاجر من الإسكندرية إلى رشيد أو الموانئ الأخرى، وتستخدم كذلك كأحدى السفن الحربية الصغيرة المساعدة. دروش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم، جامعة الإسكندرية ١٩٧٤م، ص ١٥٠.

والإشكاف^(١) والقياسة^(٢) وتجدر الإشارة إلى إن نجارى المراكب هم أنفسهم نجارى المباني حيث لم تفرق الوثائق بينهم، كما كان يرسل مراسيم من القاهرة إلى رشيد يتضمن إرسال أمهر النجارين بالشجر لبناء الأسطول وكان من بين النجارين المرسلين، نجارين بالمباني.

ومن الصناعات الهامة أيضا صناعة حبال السحيل وهي مرتبطة أيضا ببناء السفن وكان يشترط في إرسال هذه الحبال إلى القاهرة أن تكون جافة غير مبللة لكي لا يتم التلاعب في وزنها، فقد أشارت الوثائق أنه عام ١٠٠٣ هـ تم إرسال حبال السحيل المطلوبة من الشجر إلى القاهرة، وهي غير ناشفة مما جعل وزنها ينقص حينما وصلت، بعد تمام جفافها الأمر الذي إنتبه إليه المسئول عن استقبال الحبال آنذاك فشكل إلى السلطنة من عملية الغش والتكليس، فأصدر مرسوم بعدم تكرار وإلا وقع التغيرير والتعذيب لهم^(٣).

وتعتبر صناعة الزيت الحار من الصناعات الهامة برشيد، وانتشرت معه منشآت صناعية من معاصر ومسارج فضلا عن صناعة الخرنوب أو الخروب^(٤) والجلود التي اعتمد على جزء كبير منها في التصدير إلى الدول الأوروبية وصناعة أو طبخ السكر .

ونتيجة للازدهار الصناعي أن حرص العديد من الأهالي على إلحاق مساكنهم بمباني صناعية، أو تخصيص الدور الأرضي كمنشأة صناعية، فضلا عن المنشآت الصناعية الكاملة التي انتشرت في كافة جهات المدينة .

ج . التجارة

ينقسم المجال التجاري إلى تجارة داخلية وخارجية ، فبالنسبة للتجارة الداخلية فهي تتحصر في تبادل منتجات أقاليم مصر ما بين مدينة وأخرى، وذلك في أسواق عامة تقام في يوم محدد من أيام الأسبوع، أو على مدار الأسبوع، حيث يتوجه إليها البائعون والمشترون ليتم عملية للتبادل والتي أحيانا ما تتم بالمقايضة، ولا غزو في ذلك إذا ما أن المشتري أو المؤجر للمباني السكنية كان يدفع النقد المقرر عليه مضاف له مقدار من القمح، ووردت في العديد من وثائق القرن السادس عشر.

ويرى البعض^(٥) أن رشيد لم تكن بها أسواق خاصة بالتجارة الداخلية واقتصرت دورها على أنها سوق مفتوح للأجانب فقط، أو مستودعا لتجارة دول أوروبا، ولكن لا يمكن إنكار ما وجد برشيد من منتجات أوروبية وعربية بكثرة،

(١) الإشكاف: ج أشاكيف وهي من السفن النيلية الصغيرة أيضا، وتستخدم لنفس غرض المركب النيرة، كما استخدمت أيضا إلى بلاد الشام وقبرص. درويش النخولي، السفن الإسلامية، ص ٤.

(٢) القياسة: ج قياسات، وقياس، وقياس، وهي مركب بطيئة الحركة، وتستخدم لنفس الغرض. درويش النخولي، السفن الإسلامية، ص ١٣٠.

(٣) س ٢٢، ص ٤٦٠، م ١٥٢/ ٨ ذو القعدة ١٠٠٣ هـ.

(٤) س ٣١، ص ١٧٠، م ٥٦١/ ٩ محرم ١٠١٥ هـ، ص ٢٢، م ٤٠٨، م ١٣٧٥/ ٢٢ ربيع الأول ١٠٠٤ هـ.

(٥) جيلار (ب.س)، الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر، ترجمة زهير الشايب، ١٩٧٨م، ص ٤، م ٢٢. ويؤيده في هذا الرأي د صلاح هريدي أنظر ؛ صلاح أحمد هريدي على، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة رشيد في العصر العثماني، دراسة وثائقية، المجلة التاريخية، للقاهرة، ١٩٨٤م، م ٣١، ص ٣٣٤.

الاحوال الإدارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية بمدينة [رشيد]

غير أن رشيد تتمتع بشهرة أسواقها ولقد أشارت المصادر إلى ذلك منذ وقت مبكر فيشير ابن حوقل^(١) في كتاب صورة الأرض "كان برشيد أسواق صالحة وحمام وبها نحيل كثيرة"، كما أشارت الوثائق إلى وجود أسواق بالمدينة وتخصص كل سوق بسلعة معينة ووجد لهذه الأسواق شيوخ مسؤولة عن تنظيم الأمور بين الباعة، وجمعهم طوائف.

ويؤكد ذلك الرحالة الذين زاروا رشيد في تلك الفترة فيشير ليون^(٢) إلى ذلك أثناء رحلته برشيد، إذ أن بها سوق كبير عامر بالصناع، مما يدل أيضا على أصناف الصناعات وازدهارها برشيد في تلك الفترة ومن الأسواق التي ترجع إلى القرنين السادس عشر والسابع عشر سوق الغلال بالجهة القبلية^(٣)، وسوق الحطب^(٤)، وسوق الغزل بنفس الجهة^(٥)، سوق اللحم وعرف الخط نسبة له^(٦)، الفاكهة^(٧)، سوق الخشابين بالجهة البحرية، والبزازين بمجعة السوق، فضلا عن سوق الحدادين بالجهة القبلية^(٨) وسوق الخردكية، وسوق عباس بالجهة الغربية وعرف الخط نسبة لها^(٩)، ولقد كان لهذه الأسواق شهرة تغني نكرها عن وصف الحدود.

وتعتبر هذه الأسواق بمثابة منظمات تجارية لها إدارتها الخاصة والمسؤولة عنها أمام السلطة، فقد كان لكل سوق شيخ مسئول عن إدارتها، وله وكيل ينوب عنه أثناء غيابه، وكاتب يسجل كل ما يأمره به الشيخ أو الوكيل، ويقوم بجمع المستحقات التي تقرر على تجار السوق، كما أنها مسؤولة عن إدارة السوق وانتظام العمل داخله^(١٠) وتوزيع السلع بين الأفراد بالمساواة، وتخضع هذه الأسواق لإشراف المحتسب.

ولقد غلب على تخطيط الأسواق في المدن الإسلامية بصفة عامة ورشيد بصفة خاصة نمط الحوانيت أو الكاكين المترصة على جانبي الشارع الرئيسي أو الفرعي^(١١).

ولتشطيط عملية للتجارة وجد نظام الاقتراض ليس بين الأفراد فقط وإنما من الديوان العالي بمصر أو من ديوان للشرع، حيث يفترض أحد التجار الراغبى فى الربح من الديوان للقيمة النقدية المرادة - لا أعلم مدى أقصاها أو

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٣٢.

(٢) ليون الأفريقى، وصف إفريقيا، ج٢، ص ١٩٨.

(٣) ص ٢٤، ص ٢٣٣، م ٧٦٢ / ١١ شوال ١٠٠٦ هـ.

(٤) ص ٨٧ مكرر، ص ١٣٥، م ٢٨٣ / ١٥ محرم ١٠٨٦ هـ.

(٥) ص ١٠٤، ص ٧٧، م ١٢٥ / ٢٦ شعبان ١١٠٨ هـ.

(٦) ص ٨٧، ص ٢٨٥، م ٥٦٥ / ١ ربيع الثاني ١٠٨٧ هـ.

(٧) ص ٢٥، ص ١٠٤، م ٢٩٨ / ٢١ ربيع الأول ١٠٠٩ هـ.

(٨) ص ١٠١، ص ٢١٩، م ٣٠٧ / ١١ محرم ١١٠٧ هـ.

(٩) ص ٨٧ مكرر، ص ١٢٦، م ٢٦٥ / ٢٨ ذي الحجة ١٠٨٦ هـ.

(١٠) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، فصول في تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني، سلسلة تاريخ المصرية، ج ٣٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م، ص ٢٨٩-٢٩٠.

(١١) محمد عبد المنار عثمان، المدينة الإسلامية، ص ٢٥٨.

أدناها - ويقوم بشراء السلع اللازمة التي تدر ربح وافر ويعد بيعها يقوم بتسديد القسط إلى الديوان^(١).

التجارة الخارجية

على الرغم من تدهور الأوضاع التجارية عند قدوم الأتراك إلى مصر نتيجة اكتشاف البرتغال طريق رأس الرجاء الصالح ١٤٩٨^(٢)، وما صاحب ذلك من تدهور أوضاع بعض الدول الأوروبية التي كان لها تجارة واسعة بمصر خاصة البنادقة كما سنوضح، إلا أن هناك عدة عوامل ساعدت على نهوض مصر وموانئها تجارياً ومن هذه العوامل:

* كان للدولة العثمانية دور رئيسي في تنشيط التجارة، إذ أنها لم تضع قيوداً على حركة السكان وممارسة أنشطتهم الاقتصادية والتجارية المختلفة في أي بلد من البلدان التي خضعت لسلطاتها مما ساعد على عملية التبادل التجاري وتقوية العلاقات الاجتماعية والحضارية بين البلدان.

* كذلك الامتيازات التي منحتها الدولة العثمانية للدول الأوروبية بها مما أعاد السوق المصري إلى وضعه التجارى ومن هذه المعاهدات:

معاهدات البنادقة

تعرضت البندقية في أواخر القرن الخامس عشر إلى ضربتان قويتان أوشكت على القضاء عليها تجارياً، هما اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح من جهة واستيلاء الدولة العثمانية على العديد من البلدان التابعة لها من جهة أخرى^(٣)، لذا فقد كانت البندقية من أولى الدول التي كانت حريصة على عقد معاهدات تجارية مع تركيا والحصول على امتيازات من خلالها لاستعادة مكانتها التجارية في مصر، وحماية لراعاياها في الولايات التابعة للدولة العثمانية، وعلى مدار القرنين السادس عشر والسابع عشر حرص البنادقة على الحصول على امتيازات من الدولة العثمانية، كما أنها كانت حريصة على تجديد معاهداتها عند تولية أى سلطان جديد، ومن هذه المعاهدات (معاهدة ١٥١٧م) وقضت المعاهدة بأن تدفع الجزية ذهباً ومقدماً لخمس سنوات، وغُذِل النص بعد ذلك ليصير كل سنة، وعيناً من السكر والحبوب^(٤). ثم جددت في ١٥٢١م، ١٥٣٤م، ١٥٧٣م، ونتيجة لتأزم العلاقة بين البنادقة والدولة العثمانية في منتصف القرن السابع عشر، قام البنادقة بممارسة نشاطها التجارى بمصر تحت أعلام الدول الأخرى وذلك منذ

(١) س ٩١، ص ٤٠١، م ٩٠٠ / ٢٤ شوال ١٠٩٠هـ.

(٢) للاستزادة عن أسباب تدهور الأوضاع انظر: فاروق عثمان أباطة، أثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط أثناء القرن السادس عشر، ط٢، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

(٣) شارل ديل، البندقية جمهورية أرستقراطية، ترجمة أحمد عزت عبد الكريم، توفيق اسكندر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٤م، ص ١٥٢-١٥٣؛ أيضاً ناجلا محمد عبد النبي، مصر والبندقية العلاقات السياسية والاقتصادية في عصر المماليك الجراكسة (١٣٨٢-١٥١٧م / ٧٨٤-٩٢٣هـ)، ط١، عين للدراسات والبحوث، القاهرة ٢٠٠١م، ص ٢١٦-٢١٧.

(٤) نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب وأواخر العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، القاهرة، ١٩٧٣م، ص ١١٠-١١١.

١٦٤٥م^(١).

معاهدات فرنسا

أما بالنسبة لفرنسا فلم تكن أقل إهتماماً من البنادقة، بل أنها أقوى منافس لها في تجارة الشرق ففي الوقت الذي كانت فيه البندقية تتدهور تجارياً في الشرق، بدأت أحوال فرنسا تتحسن بها، وعقدت فرنسا في ١٥٢٨م معاهدة مع الدولة العثمانية تعتبر تأكيداً لمعاهدة ١٥٠٧م التي عقدت مع السلطان قانصوة الغوري^(٢)، ومن أهم المعاهدات التي عقدت بين الدولتين معاهدة ١٥٣٥م^(٣)، ويرى العديد من الباحثين أنها تأكيد لمعاهدة ١٥٠٧م السابقة الذكر، والتي تأكدت في ١٥٢٨م، على كلا فقد كان من أهم بنودها حرية التنقل للرعايا الفرنسيين في كافة أقطار الدولة وكذلك في الثغور، دفع الضرائب المعتادة، بحيث يدفع كلا الطرفين نفس الضرائب، من حق فرنسا إنشاء قنصليات لها في مختلف الولاية العثمانية، بما فيها الثغور، مع منح حصانة للقناصل والعاملين بها، وغير ذلك من البنود^(٤)، وتعتبر امتيازات معاهدة ١٦٠٤م من أهم الامتيازات التي حصل عليها التجار الفرنسيين، فقد أحاطت هذه المعاهدة بمعظم مشاكل الفرنسيين ونظمت أحوالهم بالشرق. وتم تجديدها فيما بعد في ١٦٠٩م، ١٦١٤م، ١٦١٨م، ١٦٢٤م^(٥).

* أما بالنسبة لرشيد بصفة خاصة، فإنها تعتبر أقرب الثغور إلى العاصمة إستانبول مما جعلها ميناء مصر الأول، وكان لتدهور الإسكندرية تجارياً نتيجة اكتشاف البرتغال طريق رأس الرجاء الصالح وفقدانها أهميتها التجارية وانقطاع الصلة بينها وبين أوروبا والعالم الخارجي^(٦)، أن أخذ نجم رشيد في الارتفاع فحلت رشيد محل الإسكندرية الإسكندرية وأصبحت البضائع المرسلة أو الموصلة إلى القاهرة تأتي عن طريق رشيد .

* ولم تقتصر أهمية رشيد التجارية على أنها معبراً أو مستودعاً للتجارة بين الشرق والغرب، بل كانت أيضاً تشكل أهمية كبرى كمصدر رئيسي لإيرادات الخزينة المصرية، فقد كانت الجمارك في مصر العثمانية تأتي في المرتبة

(١) زينب الغنم، الجاليات الأجنبية ودورها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مصر ابان العصر العثماني ١٥١٧-١٧٩٨، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر (فرع بنات) القاهرة ١٩٨٨، ص ٣٥.

(2) R., Clément, *Les Français d'Egypte aux XVII et XVIII Siecles*, Le Caire, 1960, p. 264.

(٣) ولقد اختلف الباحثين حول تاريخ هذه المعاهدة فبينما يرى البعض أنها في عام ١٥٣٥م، يرى البعض الآخر أنها في عام ١٥٣٦م، على كلا فليس هذا مجال لعرض هذه الآراء وتفنيدها وإنما نختص هنا بأهمية هذه المعاهدة بالنسبة للتجار الفرنسيين في مصر فقد كان من بنودها حرية التجارة بين الطرفين، وحرية نقل البضائع. للاستزادة عن هذه الآراء أنظر: نادية محمود مصطفى، العلاقات الدولية في التاريخ الإسلامي في العصر العثماني من القوة والهيمنة الى بداية المسألة الشرقية، ج ١، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ١٩٩٦م، ص ٣٦.

J.C., Hurewitz, *Diplomacy in the Near and Middle East A documentary Record (1517-1914)*, new york, 1956, vol 1, p.1

(٤) للاستزادة أنظر؛ محمد فريد بك المحامى، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقى، ط ١، دار النفائس، بيروت ١٩٨١م، ص ٢٢٤. وأيضا؛ Clément, *Les Français d' Egypte*, p. 3.

(٥) زينب الغنم، الجاليات الأجنبية، ص ٣٩.

(٦) عمر عبد العزيز عمر، مجتمع الإسكندرية في العصر العثماني ص ٣١٢؛ وأيضا Clément, *L'Égypte Ottomane*, p.23.

وشاع في رشيد كالقاهرة وغيرها من المدن التجارية المتاجرة لحساب الغير نظير نسبة معينة من الربح، فقد ورد بالوثائق تسلم بعض الأفراد كمية من السلع المختلفة لبيعها خارج القطر أو داخله حتى إذا ما تمت عملية البيع أعاد النقود إلى صاحب السلع، فقد أرسل الحاج حميدان بن محمد النطوسي الكائن برشيد مع الحاج عبد الرحمن بن محمد أسباب لبيعها له في مكة والسويس وبعد أن تمت عملية البيع أعاد الحاج عبد الرحمن للحاج حميدان المبلغ الذي باع به^(٢) وفي المقابل كان التاجر الذي يريد بيع بضاعته يدفع ثمن نقلها على السفينة .

ونتيجة للإزدهار التجاري والثقة المتبادلة بين التجار أن تم عقد مشاركات بين التجار برشيد وغيرهم من التجار بالبلاد الرومية^(٣)، ومن ذلك التعاقد بين الحاج محمد بن إبراهيم وهو تاجر تجارة الوزير محمد باشا طاب ثراه، وبين علي جلبي في إستانبول، على أن يشتري الحاج محمد للبضائع من رشيد ويرسلها إلى شريكه علي جلبي بإستانبول ويتقاسما الربح فيما بينهم، ويوضح الجدول التالي مقدار السلع وأنواعها وثمانها الذي اشترى به الحاج محمد إبراهيم من رشيد.

نوع السلع	بن قهوة	الأرز	العدس
المقدار	٦٢ قطار	٧٢٠ أردي	٢٥٠ إردب
اجمالي الثمن	٩ لكياس من الفضة كل كيس ٢٥ ألف نصف فضة		

وأشارت الوثائق أيضا إلى تعاقدات أحمال السفن، حيث يتعاقد صاحب السلع مع مالك السفينة على نقل البضائع في مقابل عائد مادي، ومن ذلك التعاقد بين مصطفى بن محمد الرومي وهو من أعيان التجار، وبين الرئيس نور الدين بن شرف المعروف بالفوال، على أن يشحن الحاج نور الدين لمصطفى الرومي من السلع (قطن وأرز وبن) إلى إستانبول بأجره عن كل قنطار من القطن والبن بالوزن الإستانبولي ما به عثماني من العثمانية الرومية، وعن كل غزلية من الأرز الأبيض أربعمائة عثماني وأربعون عثمانياً من العثمانية الرومية وصندوق الطرفان على ذلك.

ونظرا لما تتركه التجارة من ربح فقد حرص أبناء رشيد مما ليس لهم علاقة بالتجارة إلى عقد مشاركات مع التجار بأموالهم، أو عقد شركات فيما بينهم رغبة في الربح الذي تدخره عليهم فنجد المعلم أحمد بن الحاج علي البارباري يعقد صفقة تجارية مع المعلم حجازي بن علي المعروف بابن الطويل البنا بالثغر، على شراء عسل قصب من

(١) عبد العزيز الشناوي ، الدولة العثمانية مفرى عليها ، ط ١ ، أربعة أجزاء، القاهرة، ج ١، ص ١٧٠.

(٢) ص ٢٩، ص ٨٥، م ٣٣٥ / الأرباء ١٠١٣ هـ

(٣) ص ٩١، ص ٤٠١، م ٩٠٠ / ٢٤ شوال ١٠٩٠ هـ.

بولاق وبيعها بالتغر^(١). كما لجأ البعض إلى الإقتراض من بعض الأشخاص^(٢) أو من الديوان العال بمصر .

ومن أشهر السلع التي كانت تصدر وتستورد من مصر إلى إستانبول وغيرها من بلدان المغرب والشام وأوروبا .

أ. تجارة الحبوب

يأتي على رأس هذه التجارة تجارة الأرز وسبق الإشارة إلى تفوق أهالي رشيد في زراعة الأرز، وكان الأرز يصدر إلى إستانبول^(٣)، عن طريق تجار من مدن تركيا، أو عن طريق تجار رشيد إلى وكلائهم أو شركائهم بتركيا، أما تجارة القمح فتأتي في المرتبة التالية من الأهمية التجارية بعد الأرز وقد كان للمغاربة المقيمين برشيد قدر واسع في تجارة القمح لما تدره من أرباح طائلة^(٤)، فضلا عن الحمص^(٥)، والعدس^(٦) ولقد وضعت الدولة العثمانية قيوداً على تصدير القمح بصفة خاصة والحبوب بصفة عامة لأوروبا وأشار قانون نامه أن يباع للإفرنج الغلال إن وجد فائض بعد عرض الأمر على القاضي والأمين بالمدينة^(٧) خاصة في حدوث الأزمات، كما حدث في ٩٧١هـ/ ١٥٦٣م، وصدرت الأوامر بعدم تصدير القمح، كما أن السفن المسافرة للخارج قد خضعت للتفتيش، للتأكد من عدم تصديره^(٨)، وكان ذلك بسبب تريف العملة مما انعكس بدوره على الحالة الاقتصادية^(٩) وكذلك الأزمة التي حدثت عام ١١٠٧هـ بسبب انخفاض منسوب النيل ولم تصل المياه إلا إلى القليل من أرض مصر، ولم تزرع الأرض، فارتفعت الأسعار^(١٠).

ويمكن القول بأن التجار الأتراك قد احتكروا تجارة الحبوب سواء لإرسالها إلى تركيا أو كوسطاء للتجار الأجانب، كما لشتغل قليل من البنادقة والفرنسيين في تجارة القمح في ق ١٧ وعمل آخرين كوسطاء لهذه التجارة بين القاهرة ورشيد^(١١).

(١) س ٣٩، ص ١٠٩، م ٣٣٨ / ٨ محرم ١٠٨٧هـ.

(٢) س ٢٩، ص ٦٥، م ٢٦١ / ٢٠ جمادى الآخرة ١٠١٣هـ.

(٣) على سبيل المثال لا الحصر ص ٣٨، ص ٤٠، م ١٦٤ / ٢١ جمادى الأولى ١٠٢٦هـ ص ٩١، ص ٤١٠، م ٩٠٠ / ٢٤ شوال ١٠٩٠هـ.

(٤) جليلة القاضي وآخرون ، رشيد ص ٦٢.

(٥) س ١٠٠، ص ٥٣٩، م ٨٣٩ / ٨ جمادى الأولى ١١٠٥هـ.

(٦) س ٣٩، ص ١٤١، م ٤٥٨ / ١٥ صفر ١٠٢٧هـ ص ٩٢، ص ١٢٤، م ٢٩١ / ١٥ رجب ١٠٩١هـ .

(٧) احمد فؤاد ، قانون نامة ، ص ٥١

(٨) صلاح هريدي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص ٣٣٦.

(٩) للإستزادة عن الأزمات التي حدثت في تلك الفترة أنظر: أحمد شلبي بن عبد الغنى الحنفى المصرى ، ت ١١٥٠ هـ - ١٢٣٧م،

أوضح الاشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشا، الملقب بالتاريخ العيني، تحقيق عبد الرحمن عبد الرحيم، مكتبة الخانكي، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ٨.

(١٠) الدمرداشي، الدرر المصانة، ص ٣٠.

(١١) زينب الغفام، الجاليات الأجنبية، ص ١٢٥

ب . تجارة الأقمشة

انتشرت بمدينة رشيد تجارة الأقمشة بمختلف أنواعها استيراداً أو تصديراً بينها وبين مواني بلاد الشام والمواني العثمانية والأوروبية، ويعتبر الجوخ والصوف والكتان والحرير من أهم الأقمشة المتداولة آنذاك، فقد كان الحرير يأتي إلى مصر من الهند عن طريق السويس ليتم تصنيعه بها، كما أن الجوخ يأتي إليها وإلى رشيد بصفة خاصة عن طريق البندقية وفرنسا^(١)، وجزء كبير منه كانت مصر تستورده عن طريق بلاد المغرب، خاصة البرانس^(٢) ولا يعني ذلك أنه لم يكن يتم إنتاج الأقمشة محلياً، فيشير جيزار إلى أن الأقمشة الصوفية التي يتلفح بها الفلاح^(٣)، كانت تصنع في كافة القرى من الصوف الناتج عن جز الخراف التي تربي هناك، وربما كانت هذه الأقمشة الصوفية المصرية أردى من الأقمشة المستوردة لذا فقد استخدمها الفقراء من الفلاحين لتحميمهم من برد الشتاء، وبالتبادل كان يتم استيراد الصبغات من مصر.

أما الكتان فتشير الوثائق إلى جوده الكتان المصري منذ أقدم العصور، ويتميز الكتان الرشيدي، بجودته ويعتبر القرنين السادس عشر والسابع عشر من أزهي عصور تجارة الكتان فكان يصدر منه إلى تركيا خاصة وأزمير وسلاطيك وبلاد المغرب العربي وأوروبا وكان للفرانسة دور في هذه التجارة، إذ كان برشيد قنصل فرانسى يتولى رعاية مصالح الجالية الفرنسية بالنسبة لتجارة الكتان وإتخذ له ترجمان ونائب أو وكيل وكان للوكيل آنذاك هو نيراد الفرنسيسى، وجرت العادة عند قدوم أحد التجار الفرنج لشراء الكتان أن يصحبهم القنصل وترجمانه، ويطوف بهم على تجار الكتان بالثغر ثم يتم فصل السعر وشراء الكمية المزودة، وينوب الوكيل عن القنصل فى فض المشاكل التى قد تحدث بين تجارهم وتجار رشيد. ولا يستطيع أحد مخالفة ذلك وإن حدث تعرض للتعزير^(٤).

وحيث أن رشيد كانت تستقبل جميع الأقمشة المستوردة من الخارج فقد كانت هي الممول والموزع للأقمشة للقاهرة والإسكندرية، بل أنها كانت المتحكمة في إرسال أو قطع هذه الأقمشة أو غيرها للإسكندرية، ففي عام ١٠٠٤هـ، أن امتنع التجار برشيد من بيع القول والقمح وغيرها، لأهالى الإسكندرية، ففقدوا بدعة إلى اللبوان العالى بمصر، بعدم معارضتهم من شرا للقمح، وما يلزمهم من القوت اليومي، فأرسل بيورلدوى إلى أمير اللوا بثر رشيد، والحاكم الشرعى، بتمكينهم من الشراء، والتحذير من بيع شئ من الحبوب إلى بلاد النصارى - ربما كان يقصد فى الوثيقة الدول الأوروبية -^(٥).

(١) حسام محمد عبد المعطي، صناعة الأقمشة بتجارتها من خلال العصر العثماني (١٥١٧-١٨١٧) رؤية وثائق جديدة، ط ٤، الروزنامة، دار الكتب والوثائق القومية، ع ٤، ٢٠٠١م، ص ٣١٣.

(٢) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، المغاربة في مصر في العصر العثماني ١٥١٧-١٧٩٨، دراسة في تأثير الجالية المغربية من خلال وثائق المحاكم الشرعية المصرية، المجلة التاريخية المغربية، تونس، ١٩٨٢م، ص ٤٦٧ حسام عبد المعطي، صناعة الأقمشة، ص ٣١٤

(٣) جيزار، الحياة الاقتصادية في مصر، ص ٢٠٢.

(٤) ص ٨٥، ص ٥٧-٥٨، م ٧١ / ١٠ صفر ١٠٨٥هـ.

(٥) ص ٧٢، ص ٤٥٦، م ١٤٩٢ / أوائل رمضان ١٠٠٤هـ.

ج . تجارة البن

يأتي البن إلى مصر من اليمن عن طريق ميناء القصير^(١)، وكان يصدر كمية منه إلى تركيا غير أن الدولة العثمانية^(٢)، قد وضعت قيوداً حول تصدير البن خارج الولايات العثمانية^(٣)، فكان أول ذكر لتصدير البن إلى فرنسا في ١٦٥٨م، وفي عام ١٦٨٦م أي في أواخر القرن السابع عشر الميلادي حصلت فرنسا على تصريح من الدولة العثمانية باستيراد البن^(٤). وعلى كلا فقد وجد برشيد المتاجرة في البن بالجملة والتجزئة^(٥).

د. تجارة الجلود والحيوانات

وتعتبر تجارة الجلود للبقر والجاموس من التجارات الرائجة بمدينة رشيد^(٦)، واشتغل بهذه التجارة الأوروبيين وخاصة الفرنسيين^(٧).

أما تجارة الحيوانات خاصة الخيول، الجمال والبغال فقد كانت ذات أهمية كبرى نظراً لإستخدامها في إدارة الطواحين التي إنتشرت بكافة أنحاء المدينة^(٨) كما أستخدمت الجمال في نقل مواد البناء من السفن إلى المكان المراد البناء فيه، والبغال أستخدمت كوسيلة مواصلات للسفر إلى الإسكندرية، وكانت هذه البغال مدربة على ذلك، فلم يكن المسافرين في حاجة إلى شخصاً يصطحبه في الطريق^(٩)، ولقد حرص المتعاقدين على بيع الحيوانات بنكر عيوبها إن وجدت ومزاياها .

هـ . تجارة العبيد

ويعتبر رشيد مركزاً تجارياً رائجاً لتجارة العبيد ولقد حرص نص التعاقد بين المشتري والمبيع، على مزايا وعيوب العبد أو الجارية ولونه وجنسيته^(١٠).

(1) Muhammad Husām al -Din Isma'il, «Le Café dans la Ville de Rosette à l' Époque ottomane XVI-XVII Siècle», La Vente de Café à Rosette, Le Caire, p.103.

(٢) ص ٩٢، م ١٠٧، ٢١٣ / ١٠ جماد الآخر ١٠٩١هـ.

(٣) ويعتبر الهدف الأول من ذلك خشية الدولة العثمانية أن يؤثر تصدير البن بطريقة سلبية على صادراته لإستانبول إذ أنه المشروب المفضل والأول في تلك الأثناء، زينب الغنم، الجاليات الأجنبية، ص ١١٦.

(4) Clément, *Les Français d' Égypte*, P.137

(٥) جليلة القاضي وآخرون، رشيد، ص ٦٤ .

(٦) ص ٣٩، م ٢٧٤، ٨٩٩ / ٢ جمادى الثاني ١٠٢٧هـ.

(٧) جليلة القاضي وآخرون، رشيد، ص ٦٦.

(٨) ص ٣٩، م ٢٨٢، ٩٣١ / ٢١ ربيع الثاني ١٠٢٧ هـ .

(٩) ليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ص ١٩٨. كما كانت البغال والجمال تستخدم في نقل البضائع الى الإسكندرية. ص ٢٢، ص ٤٣٤، م ١٤٣٤ / أوائل ذي الحجة ١٠٠٣هـ.

(١٠) ص ٢٢، م ٣٥٢، ١١٨٣ / ٢١ صفر ١٠٠٤هـ.

الاحوال الإدارية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية بمدينة [رشيد]

ولقد كان للعبيد دور هام لدى الأثرياء إذ يقومون بحراسة وحماية دورهم^(١)، وكثير ما يرث المملوك مالكة أو يتولى نظارة مرفقه.

ولا ننسى تجارة السكر التي راجت تجارتها في القرن السابع عشر، حتى أنها كانت تصدره إلى البندقية^(٢)، وكذلك وكذلك تركيا^(٣)، فكان يتجمع رشيد الكميات المراد تصديرها.

و. تجارة الزيت الحار

استوردت مصر كميات كبيرة من الزيت من بلدان المغرب، التي احتكر أفرادها برشيد تجارتها وتصنيعها، كما أن مصر اعتمدت على جزء منه من الشام، وعمل اليهود في تجارة الزيت وكانوا يصرون على بيع الزيت بالعملة الذهبية^(٤)، وكان يصدر الزيت الحار إلى إستانبول أيضاً^(٥).

ن. تجارة الخمر

انتشر مع رواج تجارة الخمر حانات شربها في جميع أنحاء المدينة وكان لوثائق الإدعاء الخاص بشرب الخمر ذات أهمية كبيرة، إذ أمدتنا بمعلومات عن شكل بعض وحدات الدار كالدلهيز مثلاً.

وخلاصة القول فإن رشيد في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين كانت بمثابة محطة تجارية هامة، اتخذها للتجار مستقراً لهم لمباشرة وعقد صفقاتهم التجارية، لذا فقد انتشرت الوكالات والفنادق والخانات التي امتلأت بالتجار المختلفي الأجناس.

الجمارك:

عقب الفتح العثماني لمصر عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م أدرك العثمانيون أهمية موقع مصر الجغرافي، وما لهذا الموقع من مميزات تلعبه الملاحة في ربط مصر بشعوب القارات الثلاثة أوروبا وآسيا وإفريقيا، عن طريق البحر المتوسط شمالاً والبحر الأحمر شرقاً ونهر النيل الذي يربط الولاية بشعوب إفريقيا جنوباً^(٦)، هذه الأهمية حثت الدولة العثمانية - السلطان سليمان القانوني - على إنشاء أربعة جمارك رئيسية بمصر هي جمرک بولاق، مصر القديمة، الإسكندرية، دمياط وجمرک السويس حيث كانت تجارة سنغار وممالك دار فور تتم بواسطة قوافل تصل إلى مصر القديمة، أما تجارة تركيا وأوروبا وآسيا فكانت مقسمة بين ثغري دمياط والإسكندرية، وكانت الإسكندرية تقوم بصفة

(١) جولو، مدينة رشيد، ص ٤٣.

(٢) زينب الغفام، الجاليات الأجنبية، ص ١٢٦.

(٣) ص ٢٥، ص ١٣٥، م ٤٠٥ / ١ محرم ١٠٠٩هـ.

(٤) زينب الغفام، الجاليات الأجنبية، ص ١٣٣، جلية القاضي وآخرون، مدينة رشيد، ص ٦٤.

(٥) ص ٩١، ص ٣٧٨، م ٨٣٩ / ٢٥ محرم ١٠٩١هـ.

(٦) صلاح هريدي، دراسة عن بعض الجمارك مصر في ق ١٨، الإسكندرية، دار المعرفة، ١٩٨٩م، ص ٥.

أساسية بتجارة أوروبا - بلاد المغرب، أما السويس فكانت تتولى الجزيرة العربية والهند^(١).

وعن إدارة الجمارك يذكر فولني أن إدارة الجمارك في مصر شأنها في كل تركيا إحدى الوظائف الحكومية الرئيسية ويقوم على أمرها رجل يجمع بين مهنتي المراقب والمليّن العمومي، وتتوط به جميع رسوم الدخول والخروج والتعامل، وهو الذي يعين المكلفين جبايتها وهو الحاكم المستبد بأمر التجارة فيسيرها وفق مشيئته ولا تتجاوز مدة إلتزامه السنة الواحدة^(٢).

وفي القرن ١٧ تم تطبيق نظام الإلتزام في الجمارك فكانت رسومه تباع إلى الملتزمين الذين أشرفوا على تحصيل الرسوم الجمركية وتوريدها إلى خزانة الرونظمة، مع أخذ قيمة معينة من المال نظير ذلك، وكان يدير الجمرک من قبل الملتزم "الجمركي" أو "أمين الجمرک"^(٣). وكان يتولى إدارة للجمارك عادة لليهود ويعرف بالمعلم، وذلك حتى عهد على بك الكبير^(٤).

وقسمت الجمارك في تلك الفترة إلى جمرک الإسكندرية ورشيد وتوابعهما، وجمرک بولاق ومصر القديمة، وجمرک دمياط والبرلس وتوابعهما^(٥)، وجمرک عشور أصناف بها، وجمرک سمساريه بحرية وتوابعهما وسبق وأن رأينا أن الجمارك تأتي في المرتبة الثانية بعد الأرض بالنسبة لإيرادات الخزينة المصرية، كما أنها خضعت للزيادة المستمرة "المضاف" مثل ضريبة الأرض^(٦).

ودفاتر الجمارك على درجة كبيرة من الأهمية في دراسة حركة الواردات والصادرات من رشيد والإسكندرية ودمياط والبرلس، ومقدار دخل هذه المواني وهذه الجمارك ذات أهمية بالنسبة للأجاقات العسكرية، إذ كان يخصص من إيرادات الجمارك مرتبات لأجاقات للقلاع برشيد ونوصيها ويتضح ذلك من دفاتر مرتبات للعسكر التي كانت تصدر من قبل الباشا لو القائم مقام موجه إلى حاكم رشيد، ويتص الأمر بصرف مبالغ يحددها الأمر لرجال قلعة رشيد وصار احمد) على أن يخصم من ودرات الجمارك^(٧).

(١) استيف، النظام الإداري والمالي في مصر العثمانية، موسوعة وصف مصر، ترجمة زهير الشايب، ١٩٧٨م، ص ٥٠، ص ١٢٢ في حين أن استيف يذكر أن عدد الجمارك أربعة إلا أن كلمنت "Clément" يرى أنهم خمسة، جمرک الإسكندرية ورشيد وأبو قبر التابعة لها، وأخر بدمياط وجمرک البرلس، وجمرک بولاق، والخامس بالمويس. أنظر: Clément, *L'Égypte Ottomane*, p.12.

(٢) فولني، ثلاث أعوام في مصر وبر الشام، ترجمة إدوار البوستالي، منشورات دار المكشوف بيروت، لبنان، ١٩٤٩م، ج ١، ص ١٤٤.

(٣) عمر عبد العزيز عمر، مجتمع الإسكندرية في العصر العثماني، ص ٣٢٤.

(٤) Clément, *L'Égypte Ottomane*, p.12

(٥) اصول مال اسكاليات ومقاطعات رشيد وهي سلسلة تبدأ من ١٠٨٦ هـ .

(٦) ليلي عبداللطيف، الإدارة في مصر ، ص ٣٢٣. والمضاف : كلمة عربية ، كانت الضريبة المقررة على الأرض في مصر العثمانية، تعرف بكلمة الميرى، فإن تحسنت الأرض وزاد خصبها كان يضاف الى الميرى مبلغ عرف بالزيادة، فإن زاد الميرى دون أن تكون الأرض قد تحسنت عرفت الزيادة باسم المضاف. المسعيد سليمان، تأسيس ما ورد في تاريخ الجبرتي، ص ١٤١-١٤٢.

(٧) أنونات صرف مرتبات عساكر قلعة رشيد محفظة ٢ ملف ٦، وأيضاً أنونات صرف مرتبات عساكر قلعة صاري أحمد: محفظة ٢ ملف ٧، هي سلسلة تبدأ من ٨ محرم ١٠٨٦ هـ . وكان مقدار إسكلة اسكندرية ورشيد وتوابعهما في عام ١٠٨٨ هـ ، ١٣٣ / ٨٨مباراة وهو مبلغ كبير القيمة في تلك الفترة ، كما أنه أعلى من إسكلة دمياط والبرلس ١٧٢٦٦٧ ١٧٢٦٦٧ النمايط أما البرلس فكان مقدار الجمرک في تلك السنة ٣٠٠٠٠٠ . وبالجمع فإنه يبلغ ١٤٧٢٦٦٧ .

ويمكن من خلال دفاتر الجمارك الخاصة بالإسكندرية ورشيد معرفة، أهمية ثغري الإسكندرية ورشيد وغيرها وما تمثله من دخل للدولة العثمانية.

ثالثاً: الحالة الاجتماعية

اتسمت رشيد بالهدوء والسكينة وعدم تعصب أهلها، حتى أن الأجنبي يجد بها مكان لراحته دون قلق، وهذا ما أشاد به العديد من الرحالة الذين زاروا رشيد آنذاك، فيصف ليون الإفريقي أهلها قائلاً " والسكان أليفون ظرفاء مع الأجانب، يقضون معهم وقتاً ممتعاً عن طيب خاطر"^(١)، ويشيد سونيني بسماحة أهل رشيد ومدى الأمان الذي يحظى به الأجانب بها ذكراً " ليس هناك أى مدينة فى مصر يسودها الهدوء كما هو الحال فى رشيد، فلا تظهر بها القلق والاضطرابات المعتادة فى المدن الأخرى، فالأجنبي ينعم فيها بالأمان كما أنه يستطيع السير بحرية دون الحاجة لتغيير ملبسه وهو شئ مستحيل فى أى جزء آخر فى مصر"^(٢).

على كلا فان الحياة الاجتماعية برشيد اتسمت بطابع خاص فهي تتكون من رجال الإدارة، ثم كبار التجار وصغرائهم، أصحاب الحرف وأهل النعمة والجالية الأجنبية .

أ - رجال الإدارة

كانت المناصب الإدارية برشيد يتوزعها الأتراك والمماليك فيما بينهم ويأتي على رأس هذا الجهاز والي رشيد وهو خاضع لسنجق البحيرة ويخضع للقاضي للوالي، فضلاً عن بعض الفرق العسكرية المسؤولة عن حفظ الأمن للداخلي^(٣).

ويعتبر إشغال الأجناد بالحرف والصناعات والتجارة مظهراً من مظاهر إنماج الأجناد داخل المجتمع المصري، ومصاهرتهم وقد بدأت هذه الظاهرة في السنوات الأولى للتي أعقبت الفتح العثماني، حيث ينكر ابن إياس أن "عنداً كبيراً من رجال الحامية العثمانية كانوا يبيعون البوظة في الدكاكين"^(٤). وعلى الرغم من تحريم قانون نامة مزولة أي أي فرد من الأجناد الإشتغال بالأعمال التجارية أو مزولة أي نشاط إقتصادي آخر، بل نص القانون على ضرورة معاقبة من تسول له نفسه من الأجناد مخالفة القانون إما بقطع علوقته^(٥) أو عزله من الخدمة في الأوجاقات وإبعاده وإبعاده إلى إستانبول، إلا أن ذلك لم يمنع رجال الأوجاقات من إقتحام مجال الحياة العامة إذ إنشغلوا بكافة الحرف والصناعات بالإضافة إلى التجارة وإمتلاك العقارات، مع إحتفاظهم برتبهم في الأوجاقات كأجناد للدولة العثمانية ويبدو ذلك واضحاً حيث إقترنت أسماء الأجناد بأسماء الحرف والصناعات التي يزولونها، فتشير الوثائق إلى فخر

(١) ليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ص ١٩٨.

(2) Sonnini, *Travels in Upper and Lower*, p.139.

(٣) جليلة القاضي وآخرون، رشيد، ص ٢٦٩ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مصر، ص ٢٣٢.

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٣٠٥.

(٥) علوفة: كلمة عربية جمعها علثف، وهي الراتب للعسكريين والمندنيين، وكانت العلوفة للعسكريين تحسب على أساس الأجر اليومي، ويُعطاهما الإنكشارية مرة كل ثلاثة أشهر هجرية، السعيد سليمان، تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي، ص ١٥٢.

الأعيان على ابن عبد الله متفرقة ديوان مصر^(١)، فخر التجار الحاج حسين بن رمضان من طائفة عزبان، وذلك على سبيل المثال، ولقد أختلط أفراد الأوجاقات بأهل رشيد وصاهروهم، فنجد الحاج حسن ابن الحاج ندا، وهو أحد أجناد طائفة مستحفظان، كان له زوجتين من البرلس قائمتين برشيد، وأنجب منهن تسعة أولاد على، إبراهيم، فاطمة، أحمد، من زوجته مريم ابنة على القلاس، وحسن، محمد، نظلي وسهرة من زوجته منه ابنة عبد الباقي البرلسي^(٢)، ويؤكد الرحالة فانسلب الذي زار مصر ١٦٧٢م. ذلك، فيذكر أنهم كانوا يبيتون داخل القلعة ليلا ويكسبون قوتهم نهارا^(٣).

ب . كبار التجار

الوثائق أن مقدار ما دفعه فرنسيسكو البرمولي أحد كبار تجار البنادق في القرن ١٦م.، للتاجر أحمد الرويعي الرشيدي في أحد صفقاته التجارية ١٨٠٠ دينار ذهب ثمن ١٦٠ قنطار كرفة^(٤)، وبلغ قيمة ما قام بتوسعة في الجامع الكبير بشار رشيد ٤٢ ألف نصف فضة^(٥).

ونظرا لصعوبة اجتياز بوغاز^(٦) رشيد، فإن معظم السفن التي تمر من خلاله تتعرض إلى الكسر وضياع البضائع بها، فلم يكن يعبره غير الريسا الماهرين، لذا لجأ عدد من أصحاب السفن إلى إستأجار أحد الريسا الذي يضمن له العبور من اللبوغاز وسلامة السفينة والبضائع التي على متنها، إلا أن ذلك لا يمنع من غرقها نتيجة تعرضها لقسوة الرياح وشدة موج البحر، وأوردت الوثائق العديد من الشكاوى في مثل هذا الموضوع، فقد أدعى الحاج حسن بن حمزة على عوض بن محمود النقايري ببوغاز الثغر، أن للمدعى عليه ضمن له سلامة عبور سفينته من اللبوغاز غير أن شدة الرياح وعلو الأمواج حال دون ذلك، حيث قطعت حبال السفينة وسقطت في اللبوغاز وعلا عليها الرمل فغرقت^(٧).

وكثيرا ما حدثت منازعات بين التجار على قيمة بيع البضائع لأحد الأطراف، ومن ذلك دعوة الحاج حميدان بن محمد للنطويسى ضد الحاج عبد الرحمن بن محمد، الذي أرسل معه أثناء سفره إلى السويس ومكة، أسبابا لبيعها له هناك، وتعهده له بنفع أجرة للمركب، غير أن الحاج عبد الرحمن نكر بأنه سمح للحاج حميدان ببيع الأسباب، وتعهده بنفع أجرة المركب إلى السويس ولم يأذن له بنفع أجرة للمركب إلى مكة، وحلف على ذلك، ودفع ما قيمته

(١) ص ٧٠، م ١٠، ٢٥ / ١٢ شعبان ١٠٦٧ هـ .

(٢) ص ٨٧، م ٢١٦، ٤٣٧ / ٢١ محرم ١٠٨٦ هـ .

(٣) وكان يشير هنا على طائفة الإنكشارية، أنظر: قلاع مصرية قديمة، ص ٥٧٥.

(٤) زينب الغمام، الجاليات الأجنبية، ص ١٣٦ .

(٥) ص ٣٣، م ١٤٠، ٥٤٢ / ٩ شعبان ١٠١٧ هـ .

(٦) اللبوغاز: من المصدر التركي بومق، أي يخنق، ويطلق في التركية على الحلقوم وعلى الجزء الضيق من كل شيء. المعيد سليمان، تأصيل ما ورد في الجبرتي، ص ٤١.

(٧) ص ٨٦، م ٣٢٧، ٤٥٤ / ٨ ربيع الثاني ١٠٨٥ هـ .

فضلا عن سياسة الدولة العثمانية إذ أنها لم تضع قيوداً على حركة السكان وممارسة أنشطتهم الاقتصادية والتجارية في أي بلد من البلدان، لذا فقد استقبلت رشيد في تلك الفترة كثير من التجار المغاربة والشوام والحجاز والأتراك وتجار من أوروبا.

فبالنسبة للأتراك والمغاربة فقد كان لهم للنصيب الأكبر في التواجد بمدينة رشيد عن غيرهم من الجنسيات الأخرى، وكان لهم دور في تسهيل إرسال البضائع والسلع من بلادهم إلى مصر عامه ورشيد بصفة خاصة، وكان للمغاربة تجمعات جماعية في الجهة للبحرية والقبلية ووسط الثغر^(٢)، ومن خلال الجداول التالية يتبين لنا أن المغاربة قد عملوا في العديد من الحرف الصناعية وفي التجارة والنواحي الفقهية، فنجد الزيات (أى عاصر الزيت)، والسقا، الفقيه، المتسبب (وهم الدلالين من صغار التجار)، الخياط وأعيان التجار ومثل هذه المهن تحتاج إلى الاحتكاك مع أفراد المجتمع والتعامل فيما بينهم، بل والحكم بينهم، وهذا ما حدث بين المغاربة وأهل رشيد مما أدى إلى توطيد العلاقة بينهم وتأثر أهل رشيد، كغيرها من المدن المصرية، بعادات المغاربة وتقاليدهم سواء في الزي الذى أصبح بمثابة موضحة، أو الطعام فقد تأثر العديد من المدن البحرية بطعامهم، كذلك اللهجة المغربية التي تبدو واضحة لدى الأفراد، وبالتالي لابد وأن تأثر المغاربة بالمصريين وعاداتهم.

أما بالنسبة للمغاربة ورتبهم العسكرية، فكما سبق القول أن قانون نامة كان يحرم أتجار أفراد الأوجاقات السبعة أو الاختلاط بالمجتمع، ولكن نجد في القرن السابع عشر اتجاه الأوجاقات، إلى عملية بيع العلقات التي أصبح معترفا بها من قبل الإدارة، فأنتهز التجار هذه الفرصة وبدلوا في شراء هذه التذاكر ونسبوا إلى لوجاقات الحامية المختلفة، وحيث أن المغاربة قد أصبحوا أحد أفراد المدينة، لذا فقد أستغلوا هذه الفرصة في الانتماء إلى الحامية، للتمتع بالامتيازات التي تمتع بها أفراد الحامية^(٣)، ومنهم النوري على بن الحاج أحمد بن الحاج عبد العزيز وهو مغربى الأصل، ومن أعيان التجار، ومن جنود المتفرقة^(٤)، وأيضاً ابن الحاج ميلاد بن محمد وهو مغربى الأصل، من طرابلس، وأحد جنود طايقة مستحفظان^(٥).

وعرفت خطط وشوارع رشيد نسبة لهم، واستمرت شهرة عائلات تجارية منهم طوال القرنين السادس عشر والسابع عشر من أشهر السلع التي تاجر بها المغاربة فضلاً عما سبق ذكره من الأقمشة الحريرية والصوفية والشيلان والأحرمة والجلود والسكر والطرايش والأسلحة والبن، وتعتبر هذه السلع من السلع الاستهلاكية التي لا غنى عنها

(١) س ٢٩، ص ٨٥، م ٢٣٥ / ٢ رجب ١٠١٣هـ، وهناك العديد من الشكاوى التجارية على سبيل المثال لا الحصر س ٢٩، ص ١٨٤، م ٢٧٩ / ٨ رمضان ١٠١٣هـ، نفس السجل، ص ١٤٠، م ٥١٣ / ٦ شعبان ١٠١٣هـ، ص ٩٣، م ٤٤١، م ٩٦٨ / ١٧ ربيع الأول ١٠٩٤هـ، ص ٢٢، م ٣٨٢ / ١٢٨٩ / ٧ ربيع الأول ١٠٠٤هـ.

(٢) انظر جداول الفصل الثالث والرابع.

(٣) عبد الرحيم عبد الرحمن، المغاربة في مصر في العصر العثماني، ص ١١٥، ١١٦.

(٤) س ٨٧، ص ٢١٠، م ٤٣١ / ١٩ محرم ١٠٨٦هـ، والمتفرقة عربية، وهم في إصطلاح التاريخ العثماني، طائفة من خدم السلاطين والوزراء، وكبار أصحاب المناصب. السعيد سليمان، تأصيل ما ورد في الجبرتي من الخيل، ص ١٥٧.

(٥) س ٨٧، ص ٢٣٨، م ٤٨٢ / ٢٥ محرم ١٠٨٦هـ.

في الحياة اليومية مما يدل على أهميتها ومدى ما تدخره من ربح كبير لهم^(١).

لما بالنسبة لتركيا خاصة من (سالونيك - جزيرة رودس - أزمير)^(٢) فقد وجدوا في رشيد تمركزاً لهم لمؤامعتها لطبيعة النشاط التجاري لهم، وكانت أهم السلع التي تاجروا بها الحبوب وتجارة السفن والأقمشة التي تاجر بها أفراد منهم كثيرون برشيد^(٣).

وعلى الرغم من العلاقة الوطيدة التي كانت بين التجار (رشيد وتركيا) إلا أنه في بعض الأحيان ما يشوبها القلق نتيجة تعرض البضائع للسرقة على يد القراصنة أو غرق السفن أو الغش في البضائع أو موت أحد الأفراد، ومن ذلك في عام ١٠٨٨هـ وردت حجة من سلاتيك تفيد بأنه تم إرسال كمية من الأرز على متن إحدى السفن مغشوش بالملح لزيادة الوزن وطالبت للحجة بعلم تكرار ذلك^(٤).

وفي ١٠٩٠هـ تقدم الحاج محمد ابن إبراهيم الرشيد الذي إقترض من الديون تسعة أكياس من الفضة يقدر كل كيس منها بـ ٢٥ ألف نصف فضة ليشتري بها بضائع من الثغر ويرسلها إلى شريكه بإستانبول على أن يبيعها ويضع ما يحصل من ثمنها للمتكلم على تحصيل الأموال المصرية فأرسل له ثلاثة أكياس ثم توفي إلى رحمة الله وطلب الإلتماس عن باقي الأكياس الستة^(٥).

وكثيراً ما تعرض التجار لسرقة بضائعهم من طباق سكنهم بالوكالات فقد إدعى ابن عثمان وهو من أهالي فرقة الساكن بطنقة بداخل وكالة المرحوم علي باشا ضد علي ابن عثمان من أهالي قونية الذي تعدى على طبقته بعد أذان الظهر وأخذ منها الكثير من الأقمشة وطالب بإعادتها^(٦).

واستقبلت رشيد عدد من للتجار الشوام، إلا أنني لم أعثر في الوثائق على ما يدل على وجود تجمعات للشوام، وإن وجد أفراد قليلة ارتبط عملها بالثغر في التجارة خاصة تجارة البن والزيت والأقمشة بأنواعها، الهرمزي والنبلسي والبلطكي والطرابلسي والقماش الشامي المسمى بالألاجي والشاش والتيل والهندي والكمخا^(٧).

كما كان للتجار الشوام شبه السيطرة التامة على تجارة اللجوج فقد قاموا بدور ملموس في هذه التجارة وتطورها ذلك منذ بداية القرن السابع عشر الميلادي، كما استقبلت رشيد عدد من للتجار الأجانب خاصة الفرنسيين والبنادقة الذين نعموا بحرية بها ولقد إتخذوا من طباق الوكالات مسكناً لهم، وكما سبق الإشارة فإنهم تخصصوا في سلع

(١) عبدالرحيم عبدالرحمن، المغاربة في مصر، ص ٦٦-٦٧.

(٢) أنظر ملحق.

(٣) أحمد عبدالعزيز على عيسى، حجج التجارة والتركات الواردة من محكمة سلاتيك لمحكمة رشيد في العصر العثماني مجلة الانسانيات، كلية الآداب بدمشق، جامعة الاسكندرية، ع ٣١، ٢٠٠٩م، هامش ص ٢٥.

(٤) ص ٨٨، ص ٣٣١، م ٦١٧/ ذي الحجة ١٠٨٨هـ أحمد عبد العزيز عيسى، حجج التجارة والتركات، ص ٤.

(٥) ص ٩١، ص ٤٠١، م ٩٠٠/ ٢٤ شوال ١٠٩٠هـ.

(٦) ص ٩٣، ص ٢٢٨، م ٤٩٧/ ٢٠ جمادى الأولى ١٠٩٣هـ.

(٧) السيد سمير عبد المقصود، الشوام في مصر منذ الفتح العثماني حتى أوائل القرن التاسع عشر، سلسلة تاريخ المصريين، ع ٢٣١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٦٣.

معينة بل أنهم احتكروا بعض هذه للتجارات ..

أما بالنسبة لصغار التجار فهي فئة بسيطة ورأس مالها بسيط ، ولجأ بعض أفرادها إلى توسيع ثروتهم عن طريق المشاركة ، على أن يدفع كل شريك مبلغاً معيناً حسب نص العقد، ويصبح المبلغ المدفوع من الطرفين هو رأس مال الشركة، ويتولى أحد الشركاء إدارة عملية الاستثمار المتبقية بين الشركاء بالسوية، وبذلك يمنح بعضهم تحسين أوضاعهم حتى صاروا من ضمن كبار التجار^(١).

ج . أصحاب الحرف

لا تقل هذه الفئة أهمية عن فئة التجار ثراءً، فقد كانت مصنوعاتهم رائجة في المجتمع المصري، ويجمعهم نظام طائفي، تلك النظام الذي كان له دور هام في تجميع الصنائع على أساس واحد، وتدعيم قواهم ووحدتهم، إذ ما قورن بالتمكك الذي ألحق بالفلاحين، وإن انضمت جماعة منهم ضمن طوائف الحرف، كطائفة محارطة الأرز^(٢)، وكان لكل طائفة حرفية شيخ مسؤول عن طائفته، في تنظيمها وإدارة أمورها وإمدادها بالمواد الخام اللازمة، والنظر في شئونهم، ومظالمهم، ويتخذ شيخ الطائفة مساعدين له من وكلاء ونقباء وغيرهم مما سيتم الإشارة اليهم عند الحديث عن طائفة المعمار التي لم يختلف تركيبها وتنظيمها عن طوائف الحرف. وتتميز طائفة الحرفيين أنه داخل كل طائفة توجد طوائف أخرى متخصصة، ومن أهم الطوائف الحرفية، طائفة القصابين^(٣)، وطائفة السكرية^(٤)، وغير ذلك.

د . الجاليات الأوروبية

ونعنى هنا الجالية البنديقية، الفرنسية^(٥) لكثرة تواجدهم في رشيد في فترة الدراسة فقد كان للبنادقة برشيد فندقاً وتجارة واسعة^(٦) - غير أن الوثائق لم تذكر شيئاً في مثل هذا الموضوع فاعتمدت إلى توضيحية من خلال المراجع والمصادر التي تدل على تواجدهم بها - أما بالنسبة للفرنسيين فقد كان من العادة أن يكون برشيد كغيرها من الثغور نائب قنصل فرنسي، كما كان لهم وكالة - على حد - وصف الرحالة الفرنسي الذي زار رشيد آنذاك وهي تشبه في تكوينها، فندق الفرنسيين بالأسكندرية وهو عبارة عن بناء واسع ذات باب كبير ويتوسطها صحن تحيط به الحوانيت، ويعملوا حجرات إقامة التجار^(٧).

هـ . أهل النمة

اتسم مجتمع رشيد بالترايط بين أفرادهِ وعدم التفرقة الأيولوجية بين أفراد المجتمع وحيث أن مركز رشيد التجاري

(١) السيد سمير عبد المقصود، الثغور في مصر، ص ٩٨.

(٢) ص ٢٥، ص ١٤٥، م ٤٣٧ / ٢٠ محرم ١٠٠٩ هـ.

(٣) ص ٢٦، ص ١، م ٢١ / ١٦ ربيع الثاني ١٠٠٨ هـ.

(٤) ص ٢٥، ص ١٣٥، م ٤٠٥ / ٢ محرم ١٠٠٩ هـ.

(5) Von Bretten, *Voyage en Egypte*, P. 114.

(٦) محمد محمود زيتون، إقليم البحيرة صفحات مجيدة من الحضارة والثقافة والكفاح، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ١٢٩.

(7) Clément, *les français d'Egypte*, p. 13.

الاحوال الإدارية والميساسية والإقتصادية والإجتماعية بمدينة [رشيد]

قد نشط خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين لذا نجد أن أعداد من يهود ونصار^(١)، سالونيك والشام والمغرب والأندلس قد قدموا إليها ونقلوا التزام الجمارك^(٢)، وشغلوا الوظائف المتعلقة بإدارة دولاى العمل اليومي به، فضلا عن الأنشطة المالية والمصرفية بهذا الميناء، مما جعل وجودهم ضرورياً وإكتسب طابع البقاء والاستمرارية، فنجد يهودي سلاينكي إحتفظ بزوجه له في رشيد طيلة أحد عشر عاما وكان يتردد عليها سنويا طيلة هذه المدة، وكان تركز اليهود بمدينة رشيد في الجهة البحرية بالنظر^(٣).

كما عمل اليهود كوسطاء وسماسرة لبعض السلع الهامة كالسكر والقمح، وكان لهم عملاء في تركيا والأناضول^(٤)، وكذلك كترجمة، حيث كان العديد من اليهود للذين قدموا مصر كانوا على معرفة باللغات الأمر الذى مكنهم من الإستغال بالترجمة فى العديد من الموانئ التى يقصدها الأجانب كثيراً، ولهم قناصل أو نواب بها، ومن اليهود الذين عملوا في رشيد قى ق ١٦ موسية بن أفوردهم ويهود ميشعال وأفراهام بن نسور، ومن بين حاخامات رشيد في ق ١٧ الحاخام مورد خاي هاليقي الذى ولد في رشيد عام ١٦٢٠ وشغل منصب كبير الحاخامات في رشيد^(٥)، وأيضا المعلم سليمان بن مرد خان اليهودى عامل ثغرى الإسكندرية ورشيد، ووكيله بديوان رشيد المعلم أسحاق بن موسى اليهودى^(٦)، والمعلم ابراهيم بن شموال بن ابراهيم، والمعلم قسطاس بن شوعة بن ابراهيم اليهودى للريان وكان ملتزم ثغرى الاسكندرية ورشيد فى بداية القرن السابع عشر^(٧)، والمعلم ياسف اليهودى ملتزم جمر ك رشيد والاسكندرية، وذلك فى نهاية القرن السابع عشر^(٨)، وغيرهم من اليهود للذين إستقروا بالمدينة على مدى طويل.

أشجان أحمد محمد متولى

٠١٠٠٧١٥٥١٩١

Ashganahmed61@yahoo.com

(١) تم للإستزادة أنظر محسن على شومان، اليهود فى مصر العثمانية حتى القرن التاسع عشر، سلسلة تاريخ المصريين، ع ١٩١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٥٤.

(٢) ظل اليهود يتقفلون نظام إلتزام الجمارك حتى عهد على بك الذى قلمهم، وإعتمد على مسيحي سوريا، فوللى، ثلاث أعوام في مصر، ص ١٤٥.

(٣) ص ٨٨، ص ١٤٥، م ٢٨٢ / ١٦ جمادى الثانى ١٠٨٨هـ.

(٤) زيلب الغنام، الجاليات الأجنبية، ص ١٣٣.

(٥) يعقوب لاندوا، تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية (١٥١٧م/١٩١٤)، ترجمة: جمال أحمد الرفاعي، أحمد عبد اللطيف حماد، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠م، ص ١٢٤.

(٦) ص ٣٩، ص ٢٧١، م ٨٨٧ / ٢٥ جمادى الأولى ١٠٢٧هـ.

(٧) ص ٢١، ص ١٠٥، م ٣٢٧ / ٥ شوال ١٠٠٣هـ.

(٨) انوفات صرف مرتبات عساكر قلعة رشيد من واردات جمر ك رشيد، محفظة ٢، ملف ٦.